

خلق الايثار في المنظور القرآني دراسة موضوعية

م. د. أيمن ياسين حسن

م. د. خمائل سامي مطلق

الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم علوم القرآن الكريم

Creating altruism in the Quranic perspective
Objective study

Iman yassin AL-Zubaidi
Khamal same ALSarai

يعد الإيثار خلق من أخلاق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأعلى درجات السخاء وأكمل أنواع الجود، فهو صفة من صفات المتقين ، والمتحلي بالإيثار يعد من أهل الجود والكرم والتضحية ، وهو دليل على قوة الإيمان والثقة بما عند الرحمان فهو جالب للبركة في مال الإنسان ، وأكثر الوسائل تأليفاً للقلوب وتقوية المحبة بينهما، وقد جسد هذا الخلق الرفيع الشأن رسولنا المصطفى عليه الصلاة والسلام وعلى اله وسلم وخاتم الأنبياء ولنا فيه أسوة حسنة وقد تناولت قضية مفهوم الايثار بشكل مفصل .وبما أن الإسلام دين الفطرة يعلم من طبيعة النفس البشرية التردد بين الحق والباطل فلا بد من حدود وضوابط تسيطر فيها الروح على كيان الفرد ليوازن بينهما، ونظر إلى هذه الفطرة التي جبل عليها الخلق ولم يتركها بل هذبها وجعلها طوع شرعه تسيير وفقاً لمبادئه فأصبحت الأنانية والاحتكار تضحية وإيثارا .

Abstract

The altruism is a creation of the morals of the prophets and messengers peace be upon them, and the highest degrees of generosity and complete types of goodness, it is a characteristic of the righteous, and altruistic of the people of generosity and generosity and sacrifice, and evidence of the strength of faith and confidence, including mercy is a blessing for blessing in human money, To the hearts and strengthen the love between them, has embodied this creation of the high-profile Prophet, peace be upon him and the Prophet and the seal of the prophets and we have a good example has dealt with the issue of the concept of altruism in detail. Islam is the religion of instinct knows the nature of the human soul the frequency between right and wrong, there must be limits and controls in which the spirit controls the entity of the individual to balance them, and considered this instinct, which is the creation and did not leave it, but Tshbha and make it voluntary law goes according to the principles became selfish and monopoly sacrifice and altruism.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين. يعد الإيثار خلق من أخلاق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأعلى درجات السخاء وأكمل أنواع الجود، فهو صفة من صفات المتقين ، وقد تناولت مفهوم خلق الايثار بشكل مفصل وأوضحته فيه أنواعه ومراتبه ومستوياته بشكل شرعي وعلمي ومنطقي دقيق وسيتبين ذلك من خلال البحث ، ف جاء هذا البحث بعنوان خلق الايثار في المنظور القرآني فقسمت البحث الى أربع مباحث تناولت في المبحث الأول تعريف مفهوم الايثار لغة واصطلاحاً وألفاظ ذات الصلة ، والمبحث الثاني جاء عن تأصيل حقيقة الايثار في القرآن الكريم ، والمبحث الثالث تناولت فيه السياسة الشرعية في الانفاق والايثار، والمبحث الرابع تضمن عدة مسائل منها مستويات الايثار ومراتبه وأنواعه ، وختمت البحث بخاتمة بينت فيها اهم ما توصلت اليها، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

التهديد

الإيثار خلق الفضل في الإسلام فهو أعلى درجات السخاء وأكمل أنواع الجود، فهو إيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخاصة مؤثر محبته الله تعالى على شهوات وملذات النفس، ومن رزق الإيثار فقد وقى شح نفسه وبذلك يحصل الفلاح كما في قوله تعالى ((وَمَنْ يُوقِ شَحِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))^١، وإن من مهام الدين تنظيم أنشطة الغرائز الفردية والاجتماعية ، وأنشطة الغرائز وحدها ذات بعدين: فردي واجتماعي فالفردي ينعكس على الفرد ذاته، والاجتماعي تمتد آثاره إلى المجتمع لتظهر في طبيعة علاقاته وصورته النهائية، وان تركيز الإسلام على ثنائية الروح والمادة هو تجليه لواقع الإنسان ولضرورات الحياة معاً، ولربما أوجز خاتم الأنبياء صلى عليه واله وسلم في بعض جوانبها بقوله عليه الصلاة والسلام واله وسلم ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))^٢ وان رقي الأمم إنما يكون بما تملكه من القيم الأخلاقية التي تتفاضل وتتنافس مع غيرها من اجل الحفاظ عليها، وديمومتها للأجيال، ومن هنا أدرك الكثير من الأمم التي أوجدت مجتمعاتها معايير مادية أخطاء، وساهمت تلك المعايير في تفتيت وحدة المجتمع التي تضعها روح الإخاء بين أفرادها ، فأوصدت أبواب الألفة والتعايش على مائدة القيم الأخلاقية بعد أن أنمت روح الأثرة وحب الذات والتنافس على حطام زائل مما أدى إلى تفكك مجتمعاتها، فهذا هو الفرق الشاسع بين الحضارة المادية القاسية التي لأتتمي إلا الأنانية والجشع والقسوة وبين الإسلام الذي ينمي روح التراحم والتواصل والإيثار، ويوضح الإمام الغزالي أن من فوائد المخالطة ارتياض النفس فقال: ((أن المخالطة أرتياض بمقاساة الناس ، والمجاهدة في تحمل أذاهم كسر للنفوس وقهرا للشهوات وهي من أهم الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهي أفضل من العزلة في حق من لم تتهدب أخلاقه))^٣ ، وسأبين في هذا البحث مفهوم خلق الايثار وفضائله في الاسلام من خلال المباحث التالية:

المطلب الاول : مفهوم الإيثار لغة :

الإيثار في اللغة : مشتق من الفعل أثار وأثر على نفسه : فضله وأكرمه ، وأثرتك إيثارا: فضلتك والأثرة والمآثر - بفتح الثاء وضمها المكرومة ؛ لأنها تؤثر وتذكر ويأثرها قرن عن قرن : أي يتحدثون بها . فالإيثار - أذن - يأتي في اللغة بمعنى التفضيل والتكريم . **المطلب الثاني :**

مفهوم الإيثار في الاصطلاح :

لقد وردت تعريفات متعددة للإيثار وهي كالآتي :

١- عرف القرطبي الإيثار بأنه : " تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة الحظوظ الدنيوية ؛ وذلك ينشأ عن قوة اليقين ، وتوكيد المحبة والصبر على المشقة" .٥

٢- وأما الجرجاني بين الإيثار بأنه : " إن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه وهو النهاية في الآخرة" .٦ . يتبين من تعريف العلماء رحمهم الله للإيثار الربط بين تقديم الغير على النفس مع حاجته إليه وهذا منتهى الإيثار لما فيه من إبعاد للشح والبخل لان الإعطاء من الفاضل لا يعد إيثار بل هو صدقة أو هدية ؛ وبتقديم النفع للأخر بين بمختلف أنواعه هذا منتهى الجود إضافة إلى الدفع عنهم والوقوف معهم في وجه كل مكروه وهذا هو منتهى الأخوة ؛ وما يرغب فيه المؤثر من التقرب لله تعالى طلبا لرضاه ؛ منشأ ذلك قوة اليقين بالآخرة بأنها دار الجزاء وتوكيد المحبة لله تعالى ، والقدرة على تحمل المشقة والصبر عليها وبهذا يظهر الربط بين تقديم الغير على النفس وما يرغب فيه المؤثر من هذا التقديم طلب الآخرة والبعد عن السمعة والشهرة والمكافأة الدنيوية.

المطلب الثالث : الألفاظ التي ذات صلة بخلق الإيثار هي :

الجود : هو عطاء بلا من وإسعاف من غير روية، وقيل أيضا: عطاء من غير مسألة على رؤية التقليل، فهو عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر، ومن أعطي البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاس الضر وأثر غيره بالبلغة فهو صاحب أيثار ومن لم يبذل فهو صاحب بخل، وللجود ثلاثة مراتب والإيثار أحدهم وأفضلهم ٧. فهو صفة نفسية كريمة وشعور اجتماعي نبيل ينم عن صدق الإيمان وصفاء السريرة وطهارة النفس.

السخاء : من الفضائل التي تحت السخاء (الإيثار) هو التوسط في الإعطاء ، وكما ورد عن الامام علي عليه السلام : أفضل السخاء الإيثار ٨، وان ينفق الأموال فيما ينبغي على مقدار ما ينبغي وعلى ما ينبغي ويندرج تحته أنواع كثيرة منها (الكرم - النبل - الإيثار - المسامحة) وأرفع درجاته الإيثار وهو أن يجود بالمال مع الحاجة ، وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى إن يجود الإنسان على غيره مع الحاجة والبذل مع الحاجة أشد ، وإن السخاء سخاء ان سخاوة نفس الرجل بما في يديه ، وسخاوته عما في أيدي الناس، وسخاوته بما في يديه أكثرهما وأقربهما من إن تدخل فيه المفاخرة وتركه ما في أيدي الناس ، فأن جمعهما فبذل وعف فقد أستكمل الجود والكرم ٩، فكان رسولنا المصطفى عليه الصلاة والسلام وعلى اله وسلم لإيجاري في هذه الأخلاق الكريمة ولا يباري بهذا فوصفه كل من عرفه لقول الإمام علي عليه السلام ((أجود الناس كفا وأكرمهم عشرة ، من خالطه فعرفه أحبه)) ١٠ .

الزهد : يعني إن تزهد في كل صفة من صفات النفس التي فيها متعة كالشهوة والغضب والمال وغير ذلك... من مقتضيات الطبع وهذا هو زهد المتعفين، ومن علامات الزاهد هي: تفريق المجموع ، وترك طلب المفقود ، والإيثار بالقوت ، وأن التحلي بخلق الإيثار والمواساة يحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعاً، وقوة اليقين شرعاً، فنجدهم يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود. ١١

المبحث الثاني : تأصيل حقيقة خلق الإيثار في القرآن الكريم .

أكد الإسلام على مفهوم الإيثار تأكيداً بليغاً في آيات وروايات عديدة منه في قوله تعالى ((وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) ١٢ ، وقبل بيان سبب النزول لهذه الآية الكريمة ، أحببت بيان أن الإسلام سبق علم النفس الحديث في الدعوة إلى حب الإنسان لأخيه، وأضاف إلى أبعاده النفسية والجسمية والاجتماعية بعداً روحياً فجعل من الإيمان أن يحب الإنسان ما يحب لنفسه لقول النبي محمد عليه الصلاة والسلام وعلى اله ((حب لأخيك ما تحب لنفسك)) ١٣، ومن علامات هذا الحب للناس : أن يعيش معهم ويخالطهم ويهتم بأمرهم ويعمل من أجلهم ويقضي حوائجهم ويدفع عنهم الأذى من هذا ان يؤثر على نفسه ويحسن إليهم ولا ينتظر جزاء أو شكر فلا يغضب إذا جحدوا فضله ولا يحزن إذا أنكروا جميله، لأن عمل ما عمل لهم إلا ابتغاء مرضاة الله تعالى، ويوضح الإمام الغزالي أن من فوائد المخالطة ارتياض النفس

فقال: "أن المخالطة ارتياض بمقاساة الناس، والمجاهدة في تحمل أذاهم كسر للنفوس وقهرا للشهوات وهي من أهم الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهي أفضل من العزلة في حق من لم تتهذب أخلاقه" ١٤، وكما ورد في كتب التفسير ان سبب نزول سورة الحشر قيل: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك، لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: من يضيف هذا الليلة رحمه الله؟. فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء، قالت: لا إلا قوت صبياني قال: فعليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل، فقومي إلى السراج حتى تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، فقال: ((قد عجب الله من صنعكمما بضيفكما الليل)) ١٦، وقيل أيضا: أنها نزلت بسبب إيثار المهاجرين بالفيء حيث نقل قول ابن عباس: أن النبي عليه الصلاة والسلام قال للأنصار ((أن شئتم قسمتم للمهاجرين فقلوا لا بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ولا نشاركهم في الغنيمة)) ١٦ فنزل قوله تعالى. تبين أن هذا الإيثار ليس عن غنى ولكنه عن حاجة وخصاصة وفقر، ويذكر المفسرين أنواعا في إيثار الأنصار للضيف بالطعام وتعلمهم عنه حتى يشبع، فهذا تطبيق حي للإيثار في عهد الرسول الأكرم حيث أثر ضيفه على نفسه وأهله وأولاده حبا وإكراما لرسولنا المصطفى وضيفه وحبا في الله ورسوله وطلبا لمرضاته وليس لهدف مادي أو ابتغاء دنيوي. فالمعنى العام لهذه الآية الكريمة تشير الى أن الأنصار الذين تبنوا المدينة قبل المهاجرين فاستقروا بها واعتقدوا الإيمان وأخلصوا فكأن الإيمان صار منزلا لهم، وليس المراد أنهم آمنوا قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الأنصار يحبون من هاجر إليهم حبا لا يعرف التاريخ له نظير، بل تشهد البشرية كلها استقبالا جماعيا كاستقبال الأنصار للمهاجرين الذين أحببهم من صميمهم وتمنوا لهم من الخير ما يتمنونه لأنفسهم وبذلوا لهم كل ما يستطيعون بذله من مال راضية بذلك قلوبهم مطمئنة أفندتهم، وعني بذلك صورة المحبة لبعضهم البعض ومدى سخاءهم فأن رسولنا قسم أموال (بني النظر) على المهاجرين فأنتهم كانوا حينئذ فقراء ولم يعطوا الأنصار منهم شيئا إلا رجلين من الأنصار أعطاهم لفقهم، قد كان هذا مدعاة لفرح الأنصار فما كانوا يطمحون إلى شيء مما أعطاه رسولنا للمهاجرين من الفيء، لأن صدورهم نقية طاهرة ولم يشعروا بشيء من الضيق والغيرة لما أخذ المهاجرين من غنائم بني النظر ولم يجدوا حزازة وغيظا وحسدا مما أعطي المهاجرين بل طابت أنفسهم بحكم الله ورسوله بهذه الغنائم التي وزعها، ١٧ أذن: فالإيثار بالنفس يأتي بالمرتبة العليا فوق الإيثار بالمال فهو ليس عن غنى من المال ولكنه عن خصاصة وحاجه، وان عاد الى النفس فالجود بها أقصى غاية الجود، وهو ضد الشح فالمؤثر على نفسه تارك لما هو محتاج اليه، لان الشح حريص على ما ليس بيده. ١٨ فهذا التعبير القرآني يوضح طبيعة الأنصار في البذل والسماحة التي جبلوا عليها، وبلغوا القمة العليا في النبل والخلق ويتجلى هذا واضحا بما قاله المهاجرين لرسولنا المصطفى: يا رسول الله مار أينا أقوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذل في كثير، لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنة، حتى خشينا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال عليه الصلاة والسلام واله ((لا ما أثبتهم عليكم ودعوتهم لهم)) ١٩، وهذا من قبيل الإيثار على النفس وهو فوق الإيثار بالمال وأنه القمة العليا يبلغها الإنسان رغم الحاجة، وهذه المآثر العظيمة لا نجد لها إلا في الإسلام، ويتبين أن نطاق الإيثار بالنفس أعلى وأرفع من الإيثار بالمال وهو القمة العليا التي لا يستطيع كل أنسان أن يبلغها رغم حاجته الا من جاهد نفسه ورغم حاجته يسعى للوصول إليها، لأنها من الاخلاق الرفيعة، وليس له مدى في الشرع الإسلامي خاصة أن للمؤمن امتداد أخرويا به يصل إلى منتهى السعادة وهي أرضاه الله تعالى، فالإيمان باليوم الآخر يجعله يضحى بجميع ملذات الدنيا.

المبحث الثالث: السياسة الشرعية في الإنفاق والإيثار

الاسلام أرسى قوانين تراعي حاجات الناس في الشدة والرخاء، ولكن هناك حالات يسعى الانسان للوصول اليها رغم الفاقة والحاجة، فنجد هنالك ضوابط للإنفاق والإيثار في الاسلام وهي مما لا شك فيه توازن بين الحاجات والواجبات والاسلام جعل حدين للإنفاق:

الاول / الحد العادي: وهذا يمتد إلى كل ما يزيد عن حاجة المستخلف على المال مما زاد على حاجته فهو محل للإنفاق أيا كان مقداره،

الثاني / حد الضرورة: هو أمر عادي يوجب على الفرد أن ينفق ولو مما يحتاج إليه حاجة ماسة بشرط عدم إماتة نفسه، أما إذا وصل إلى مرحلة الموت فهذا يحرم حتى في باب الإنفاق على النفس وفي هذا يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "أذا اقتصر الناس على سد الرمق، وزجوا أوقاتهم على الضعف، فشا فيهم الموتان" ٢٠، ومع أن الشريعة الإسلامية قد أباحت الإيثار وبينت أنه مندوب إليه ومستحب في الحظوظ الدنيوية إلا أنها قد طلبت من المسلم أن يحسن الانتفاع والتصرف في أمواله فلا يتلفها ولا يضيعها بل دعت الى الاعتدال وعدم الإسراف والتقتير في الإنفاق، وجعل الأنفاق من أبواب الصدقة من العفو الزائد والفاضل من مالك ومن تجب عليه نفقتهم، ولا ريب أن الإيثار يكون

بحسب حال المؤثر ومقدار إيمانه ،وتحملة للصعاب والمشقة ، فقد ثبت أن أبا بكر ٢١ تصدق بكل ماله ، وعمرين الخطاب بشرط ماله ، بينما لم يقبل رسولنا الصدقة من الآخرين، وكان هذا في ظروف صعبة مرت بالمسلمين حث فيها رسولنا على الإنفاق من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الإنفاق يكون من كل بحسب حاله ومقدار إيمانه فنراه تركهم يفعلون ذلك لعلمه بقوة أيمانهم وحرصهم على التضحية في سبيل الدين ، والتصدق بكل المال والإيثار به ميزة مستحبة ، ومرتبطة متقدمة لمن أستطاع ذلك بقوة إيمانه وصبره وتحمله للشدائد، وفي هذا يقول الإمام النووي: " ذهبنا في التصدق بجميع المال مستحب لمن لادين عليه ، ولا عيال له لا يصبرون، ويكون هو يصبر على الإضافة والفقر، فإن لم يجمع هذه الشروط فهو مكروه" ٢٢، وكذلك في الإخبار الصحيحة ورد النهي عن التصدق بجميع ما يملكه الإنسان ولكن إنما كره ذلك في حق من لم يوثق منه الصبر على الفقر، وخاف أن يتعرض للمسالة، فإذا فقد ما ينفقه كره الإيثار لمن كانت هذه صفته ، فإما الأنصار الذين أثنى الله عليهم فلم يكونوا على هذه الصفة فكان الإيثار منهم أفضل من الإمساك ، والإمساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسألة أولى من الإيثار ٢٣. وهنا نتوقف قليلا لنسال هل يصح الإيثار من مسلم لديه عيال وتلزمه نفقه غيره أم لا؟ الجواب: كما في قوله تعالى ((الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)) ٢٤ ، أي: أنه ينفق لوجه الله تعالى بعض ماله لا كله ، ولم يبين القدر الذي إنفاقه أو أمسাকে ، أما في قوله تعالى ((وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)) ٢٥ ، هنا وضح تعالى القدر الذي ينبغي أنفاقه هو الزائد عن الحاجة وسد الخلة التي لا يبد منها، كما في قوله عليه الصلاة والسلام ((كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت)) ٢٦ ، أي: من تجب عليهم نفقتهم، ويبين رسولنا المصطفى عليه الصلاة حد القدرة ، وان بذل الفاضل عن الإنسان خير من إمساكه حتى لإيلا م ويسأل عنه ((يا بن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك وأن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى)) ٢٧ أي: أن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه ، ولا تلام على كفاف معناه: أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه ٢٨ ، وكذلك يجب على المنفق إن يفرق بين الجود والتبذير وبين البخل فالمنفق في محل الإعطاء مذموم وقد نهى الله عنه لقوله تعالى ((وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا)) ٢٩ ، والإعطاء في محل المنع مذموم أيضا وقد نهى الله تعالى في قوله تعالى ((وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ)) ٣٠ ، فإن قيل: هذا الذي قررتم يقتضي إن الإنفاق المحمود هو انفاق ما زاد عن الحاجة الضرورية مع أن الله تعالى أثنى على قوم بالإنفاق فهم في حاجة إلى ما أنفقوا كما في سورة الحشر: فيكون الجواب كما قال بعض العلماء من إن لكل مقام مقال ففي بعض الأحوال يكون الإيثار ممنوعا وذلك كما إذا كانت على المنفق واجبة كنفقة الزوجة فيسرع بالإنفاق في غير واجب ويترك الفرض لقول النبي صل الله عليه واله وسلم: ((خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول)) ٣١ وكان يكون لا صبر عنده عن سؤال الناس فينفق ما له ، ويرجع إلى الناس يسألهم مالهم فلا يجوز ذلك ؟ والإيثار فيما إذا كان لم يضيع نفقة واجبة وكان واثقا من نفسه بالصبر والتعفف وعدم السؤال، والواقع إن للإنفاق في القرآن الكريم على مراتب ثلاث هي :

الأول/ الإنفاق من بعض المال بصفة عامة كما في قوله تعالى ((الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)) ٣٢ ، والثاني / الإنفاق مما يحبه الإنسان ويحرص عليه كما في قوله تعالى ((وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ)) ٣٣ ، وهذا أخص من الأول وفي قوله تعالى ((وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)) ٣٤ ، والثالثة/ الإنفاق مع الإيثار على النفس ، وهذا أخص من الأول كما في سورة الحشر، وهنا تعد المرتبة الأولى هي الحد الأدنى في الواجب ، وهي تشمل النافلة وتصدق على أدنى ولو بشق تمرة ، وتعتبر المرتبة الثالثة هي الحد الأقصى ، لأنها أثار الغير على خاصة النفس ، والمرتبة الثانية هي الوسطى بينهما فهي الحد الوسط بين الاكتفاء الواجب وبين الإيثار على النفس ، وهي ميزان التوسط لعامة الناس وهذا هو عين التطبيق قاعدة الفلسفة الأخلاقية القائلة : الفضيلة وسط بين طرفين ، أي : طريق الإفراط والتفريط ، فالكرم وسط بين التبذير والتقتير، وأن للإنفاق جوانبه متعددة وأحكام متفاوتة وتتنحصر هذه الأحكام في نوع ما يقع منه الإنفاق ، والجهة المنفق عليها، وموقف المنفق وصورة الأنفاق ٣٥.

المبحث الرابع : مستويات ومراتب الإيثار وأنواعه

للإيثار مستويات وعدة مراتب وأنواع هي :

أ - مستوى الإيثار : كما عرفنا أن الإيثار تقديم غيرك من المؤمنين على نفسك في المال والراحة أو ما إلى ذلك من نعم الله تعالى ، وهو من أعظم الصفات الحسنة وهو على مستويين هما :

المستوى الأول / الإيثار عن كره بمعنى : أن الشخص يحس بكلفة ومؤنه حينما يؤثر أخاه المؤمن على نفسه ، وذلك نتيجة لحب نفسه وحبها لمصالحها ، وصعوبة رفع اليد عنها في سبيل غيره باعتبار ما لدى الإنسان من الشح الذي لا يكاد أن ينفك منه كما يشهد في قوله تعالى ((وَمَنْ

يُوقَّ شُحُّ نَفْسِهِ فَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) ٣٦ ، فكان الشح ثابت مع كل نفسه إلا أنه قد بقي الله تعالى أحدا من شر شحة ، ويشهد قوله تعالى ((وأحضرت الأنفس)) وهذا الإيثار نوع جهاد مع النفس وثوابه عظيم عند الله تعالى ،

والمستوى الثاني / الإيثار عن طوع ورضا ورغبة نفسية ، وهذا أعظم من الأول ولا يكون الأبعد تربية كبيرة فيصل الإنسان نتيجة لصفاء النفس الذي حصل عليه بالتربية إلى مستوى فقدان الشح ، فيؤثر غيره على نفسه طواعية كما في قوله تعالى ((ويؤثرون)) ٣٧، فالإيثار ضد الشح ، فان المؤثر على نفسه تارك لما هو محتاج إليه، والشحيح هو الحريص على ما ليس بيده فإذا حصل بيده شيء شح عليه وبخل بإخراجه ، فالبخل ثمرة الشح ، والشح يأمر بالبخل، كما قال رسولنا صلى الله عليه واله وسلم : ((إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش وإياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالقطيعة قطعوا أرحامهم وأمرهم بالفجور ففجروا وأمرهم بالبخل فبخلوا)) ٣٨ فالبخل من جاب داعي الشح والمؤثر من أجاب داعي الجود وكذلك السخاء عما يدي الناس هو السخاء، وأفضل من سخاء البذل سخاء النفس عما في أيدي الناس وهذا المنزل هو منزل الجود والسخاء والإحسان ، وسمي بمنزلة الإيثار لأنه أعلى مرتبة. ٣٩.

ب - مراتب الإيثار :أذن فالمراتب ثلاث هي :

أحدهما : أن لا ينقضه البذل ولا يصعب عليه فهو بمنزلة السخاء،

والثانية: أن يعطي الأكثر ويبقى له شيئاً أو يبقى مثل ما أعطى فهو الجود، والثالثة: أن يؤثر غيره بالشيء مع حاجته إليه ، وهو مرتبة الإيثار وعكسها الأثرة وهو استثنائه عن أخيه بما هو محتاج إليه ، ٤٠ وهي المرتبة التي قال فيها رسولنا المصطفى للأَنْصَار وهم الذين وصفهم الله تعالى بالإيثار ((إنكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)) ٤١ فوصفهم بأعلى مراتب السخاء وكان ذلك فيهم معروفا .

ج - أنواع الإيثار ، أن للإيثار نوعان هما : الأول المتعلق بالخالق : وهو الإيثار المحمود الذي أتى الله على فاعله لضمان الحياة الكريمة والتكافل الاجتماعي بين الناس ، والإيثار يكون بالدنيا لا بالدين . أن الأيمان الحقيقي الذي يكمن في أعماق قلب المؤمن ينعم بمحبة خالصة لله تعالى فيكون مؤثرا محبته لنفسه لله تعالى ومحبته أقوى من حبه لنفسه ولهذا وصف المحبين لله تعالى بالإيثار ، لأنهم يؤثرون لله ومحبته ورضا على أنفسهم ، فإذا كان الأيمان في ظاهرة القلب يعني على الفؤاد كان المؤمن يحب الله حبا متوسطا ، فإذا دخل الأيمان القلب فكان في سويدائه أحبه الحب البالغ ، ومحبة ذلك أن ينظر ، فأن كان يؤثر الله على جميع هواه ويغلب محبته على هوى العبد حتى تصير محبة الله هي محبة العبد في كل شيء فهو محب لله حقا ، كما انه مؤمن به حقا، وان رأيت قلبك دون ذلك فلك من المحبة بقدر ذلك فأدل علامات المحبة الإيثار بالمحبوب على ذخائر القلوب ولذلك وصف المحبين بالإيثار ، ٤٢ فأن حقيقة المحبة إيثار المحبوب ومرضاته على ماسواه ، قالوا وكيف يصح الإيثار ممن لاتنازعه نفسه وطبعه إلى غير المحبوب ، قالوا وليس العجب من قلب خال عن الشهوات والإرادات قد ماتت دواعي طبعه وشهوته إذا عكف على محبوبة ومعبودة وطمانه إليه واجتمعت همته ، وأن إيثار المحبوب يكون على نوعين هما : الأول / معاوضة ومتاجرة ، وإما الثاني / حب إيثار وإرادة :

فإما الأول : يؤثر محبوبية على غيره طلبا لحظه منه فهو يبذل مايؤثر ليعاوضه بخير منه، والثاني : يؤثر إجابة لداعي محبته فأن المحبة الصادقة تدعوه دائما إلى إيثار محبوبية فإيثاره وأجل حظوظه فحظه في نفس الإيثار لا في العوض المطلوب بالإيثار وهذا لأتقهمه إلى النفس اللطيفة الورعة المشرقة ،إما النفس الكثيفة فلا خير عندها من هذا ٤٣ فأما أنواع الإيثار المتعلقة بالخالق هي:

الأول/محبة الله وإيثار محبته على النفس : فالمحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات ، وأن الحب لله تعالى شريط الإيمان ، والأسباب المقوية لحب الله عز وجل هي :

أ- / قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب والسبيل الى ذلك سلوك الزهد وملازمة الصبر والانقياد إليهما بزمام الخوف والرجاء ،

ب- / قوة المحبة: أي قوة معرفة الله واتساعها واستيلائها على القلب ،ومن علامات محبة العبد لله تعالى أن يكون مؤثرا ما احبه الله تعالى على ما يحبه في الظاهر والباطن فيلزم مشاق العمل ويتجنب إتباع الهوى ويواظب على طاعة الله ومتقربا اليه بالنوافل، ووصف الله عز وجل المحبين بالإيثار لقوله تعالى((وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) ٤٤ ، وكذلك بعض علامات المحب: المجاهدة في طريق المحبوب بأمال والنفس ، وذلك بالزهد في الدنيا والخروج إليه من النفس بإيثار الحق على جميع الأهواء. ٤٥.

والثاني / الإيثار أيثار الله عز وجل ، فالله سبحانه وتعالى المعطي والرازق والمالك هو الذي تفرد بالإيثار لا أنت أيها الإنسان فعلى الجميع إن يعرف هذا المبدأ حتى ينفق مما أستخلفه الله عليه. ماذا يعنى بإيثارك إيثار الله عز وجل ، أي : هو أن تتسبب إيثارك إلى الله تعالى دون نفسك وانه هو الذي تفرد بالإيثار لا أنت فكأنك سلمت الإيثار إليه ، فإذا أثرت غيرك بشيء فان الذي أثره هو الحق لا أنت فهو المؤثر حقيقة إذا هو لمعطي حقيقة ، وانه السبب الذي يصح به نسبة الإيثار إلى الله تعالى وترك نسبته إلى نفسك .

الثالث / إيثار رضا الله عن سواه : وهو أيثار رضا الله على رضى غيره وإيثار حبه على حب غيره ، وخوفه ورجائه ، وإيثار الذل والخضوع والاستكانة والضراعة له دون غيره ، عن رسولنا عليه الصلاة والسلام ((ما أشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا)) ٤٦ أسمى درجات الإيثار ، وهذه درجة الأنبياء عليهم الصلاة فإذا وصل أي إنسان لهذه الدرجة والمنزلة فإنها منزلة عظيمة أن تؤثر الله تعالى على جميع الحظوظ والناس حتى وأن أغضبهم وأبعدهم عنه ٤٧ ،

فإيثار رضا الله تعالى على غيره ، أي: يريد ويفعل ما فيه مرضاته ولو أغضب الخلق وهي درجة الأنبياء وأعلىها للرسول عليهما السلام وأعلىها لأولى العزم وأعلىها للنبي محمد صلى الله عليه وسلم فإنه قاوم العالم كله وتجرد للدعوة إلى الله تعالى وتحمل عداوة البعيد والقريب في الله واثر مرضاة الله وتبليغ رسالاته وإعلاء كلماته وجهاد أعدائه حتى ظهر دين الله على كل دين وقامت حجته على العالمين وتمت نعمته على المؤمنين فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه فلم ينل احد من درجة هذا الإيثار ما ناله عليه الصلاة والسلام، وهذا الإيثار العظيم الشأن لا يستطيع إلا بثلاثة أشياء هي :

الأولى / بطيب العود وحسن الإسلام وقوة الصبر ، فإن المؤثر لرضي الله متصد لمعاداة الخلق وأذاهم في أتلافه ولا بد هذه سنتها لله في خلقه وإلا فما ذنب الأنبياء والرسول الذين يأمرون القسط والقائمين بدين الله الذابين عن كتاب وسنته رسوله عندهم فمن اثر رضا الله فلايبه إن يعادي أراذل العالم وجهالتهم وأهل البدع والفجور وكل من يخالف هديه فما يقدم على معاداة هؤلاء إلا طالب الرجوع إلى الله عامل على سماع خطاب: يا أيها النفس المطمئنة، ومن اسلامه صلب عامل لا تزعره الرجال ولا تقلقه الجبال ومن عقد عزيمة صبره محكم لا تؤثر فيه المحن والشدائد والمخاوف وملاك ذلك أمران هما: أحدهما: الزاهد في الحياة والثاء فما ضعفت من ضعف وتأخر من تأخر لا بحبه للحياة و البقاء ، والثاني: ثناء الناس عليه ونفرته من ذمهم له، فإذا زهد في هذين الشئيين تأخرت عنه العوارض كلها وانقسمت حينئذ في العساكر وملاك هذين الشئيين: صحة اليقين وقوة الحب ، وملاك هذين الشئيين أيضا: بصدق اللجوء والطلب والتصدي للأسباب الموصلة إليهما، ٤٨، فحقيق بالعبء أن يسمو لرض الله وان صعب المرتقى وان عظمت فيه المحن ويحمل فيها خطرا يسير لمملك عظيم وفوز كبير فإنه ثمرته في العاجل والأجل ليست تشبه ثمرة بشيء من الأعمال واليسير منه يرقى العبد ويسيره مالا يرقى غيره إليه في المدد الطويل وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولا تتحقق المحبة إلا بهذا الإيثار والذي يسهل على العبد أمور عدة منها : أحدهما: تكون طبيعته لينة منقادة لسلسة ليست بخافية ولا قاسية بل تتقاد معه بسهولة، وثانيا: أن يكون أيمانه راسخا ويقينه قويا ، فإن هذا ثمرة الإيمان ونتيجته ، الثالث : قوة صبره وثباته ، فهذه الأمور الثلاثة تنهض إلى هذا المقام ويسهل عليه إدراكه ، والنقص والتخلف في النفس عن هذا -يكون الا اذا كانت القريحة وقادة ومدركه لكن النفس ضعيفة منهية اذا أبصرت الحق والرشد ضعف عن إيثاره فصاحبها يسوقها سوق العليل المريض كلما ساقه خطوة وقف خطوة لانساق معه إلا كرها، فإذا رزق العبد قريحة وقادة إذا زجرها أنز جرت، وإذا قادها انقادت بسهولة وسرعة ولين وارتنى مع ذلك بعلم نافع وإيمان راسخ أقبلت إليه وفود السعادة من كل جانب ولما كانت هذه القرائح والطبائع ثابتة للصحابة رضي الله عنهم. ٤٩

والنوع الثاني : الإيثار المتعلق بالخلق :فأما أنواع الإيثار المتعلقة بالخلق ويكون على أنواع منها :نجد لخلق الإيثار أنواع منه الإيثار على النفس وبالنفس وبالمال وبالزوجة وغير ذلك من حظوظ النفس .

أما النوع الأول / الإيثار على النفس وهو أعرق في إسقاط الحظوظ وذلك بترك حظه لغيره اعتمادا على صحة اليقين ، وإصابة لعين التوكل، وتحملا للمشقة في عون الأخ في الله على المحبة من اجله ، ونجده فعلا ثابت في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام واله ومن خلقه المرضي قد كان ((أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة ،وقالت خديجة انك تحمل الكل وكسب المعدوم وتعين على النوائب الحق وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعت على الحصير ثم قام يقسمها ، فما رد سائلا حتى فرغ منه)) ٥٠ ، وإما في قوله تعالى في سورة الحشر ((وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)) تشير هذه الآية الكريمة في مسألة العمل على إسقاط الحظوظ هو ضريان ٥١ :

الأول-الإيثار بالملك من مال أو زوجة بفراقها لتحل للمؤثر كما في قصة مؤاخاة النبي محمد عليه الصلاة والسلام - بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضي الله عنهما - عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال : لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، قال لعبد الرحمن : إنني أكثر الأنصار مالا ، فاقسم مالي نصفين ، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي فأطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها ، قال : بارك الله لك في أهلك ومالك أين سوقكم)) ٥٢ ، ٥٣ فان من جملة خصال الإيمان الواجبة إن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكرهه لنفسه فإذا زال ذلك عنه فقد نقص إيمانه بذلك ، والإيثار هنا أعظم قوة حقيقية للإيمان لأنه تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة في الخطوط الدينية يقال : أثرت بكذا أي خصصته به وفضلته بالمال أو بالمنازل أو بالنفس لا من غنى بل مع الحاجة وان مجيء قوله تعالى ((وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)) عقب قوله تعالى ((يُجِبُونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ)) بيان لثمرة هذا الحب وهي ثمرة سما بها الأنصار إلى أفاق لم تصل إليها البشرية في تاريخها البعيد ولا في القريب تلك هي ثمرة الإيثار على النفس التي أثمرت الحب الإيماني فقد كان هذا الحب الأخوي بين المهاجرين والأنصار هو الأساس الذي قامت على دعائمه المؤاخاة الاجتماعية التي عقدها النبي صل الله عليه واله وسلم بعد مقدمه المدينة فقد كانت هذه المؤاخاة من اسبق الأعمال التي قام بها رسولنا وأول عمل قام به حين استقر في مقامة وبعدها اخذ في بناء مسجده الأعظم ، ومن الصوفية من يعرف المحبة بأنها إيثار والدليل على ذلك قول امرأة العزيز في النبي يوسف عليه السلام رادته عن نفسه وأنه لمن الصادقين فأثرت بالبراءة على نفسها ٥٥ ، ومن شروط الحب في الله تعالى إيثار الأخ بكل ما يقدر عليه من أمر الدين والدنيا في قوله تعالى ((يُجِبُونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ)) ، وقوله تعالى ((وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً)) أي : لا يحسدون إخوانهم على مالهم وهذان الوصفان بهما يكمل صفو المحبة، أحدهما/ انتزاع الحسد على شيء من أمر الدين والدنيا ، والثاني/الإيثار بالمقدور، ٥٦ وفي هذا قال الإمام الغزالي في الإحياء: الإيثار على ثلاثة منازل مع الإخوان أدناها أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجة من فضلة مالك فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم توجه إلى السؤال فان أحوجه إلى السؤال فهو في غاية التقصير في حق الإخوة، والثانية أن تنزله منزله نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك ونزوله منزلته حتى تسمح بمشاطرته في المال، والثالثة وهي العليا إن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهي مرتبة الصديقين ومنتهى درجات المحبين وهن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس. ٥٧

والنوع الثاني / الإيثار بالنفس: وهو أعلى المنازل ، فالباذل لنفسه ليس له أي منفعة أو مصلحة دنيوية تدفعه لذلك ، كما في الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه واله وسلم ، وأبو طلحة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم محبوب عليه بحجفة له ، وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزع ، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا ، وكان الرجل يمر معه فيقول أبو طلحة : بأبي أنت وأمي ، لا تشرف ، يصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرِك)) ٥٨ ، وكذلك واقعة الامام علي عليه السلام في مبيته على فراش رسولنا اذ عزم الكفار على قتله، وهذا الامر ليس بصعب على الاولياء المقربين ؛ لكونهم وبحكم ايمانهم يتحلون بهذا الخلق لقوله عليه السلام الامام علي "الإيثار أعلى الإيمان" ٥٩

والنوع الثالث/ الإيثار بالطعام: أجمع العلماء على فضيلة الإيثار بالطعام ونحوه من أمور الدنيا وحظوظ النفس بخلاف القربات فان الحق فيها لله تعالى وهذا مع ما قبله (الإيثار بالمال وبالنفس) على مراتب والناس في ذلك مختلفون باختلاف أحوالهم في الاتصاف بأوصاف التوكل المحض واليقين التام، فنجد رسولنا المصطفى يندب الى التقليل من الأكل والاكتفاء ببعض الطعام الى الإيثار بالباقي منه لقوله عيه الصلاة والسلام واله وسلم أن جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول: ((طعام الواحد يكفي الأثنين وطعام الأثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية)) ٥٩ فأحسن مأكَل المؤمن في ثلث بطنه وشرب في ثلث وترك للنفس ثلثا، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة من خبز بر ثلاث ليال شباعا حتى قبض)) ٦٠ ، ومما لاشك فيه أن الله قد مدح أهل الإيثار لأنهم قد بلغوا بهذا العمل أعلى درجات الإيمان الكامل لقول سيد المرسلين صلى الله عليه واله وسلم قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) ٦١ ، فهذا يدل على من لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه فقد نقصه إيمانه ، وقيل المراد هنا: بنفي الإيمان نفي بلوغ حقيقة ونهايته ، فان الإيمان كثير ما ينفى لانتفاء بعض أركانه وواجباته، وكذلك المقصود من جملة الإيمان الواجب أن يحب المسلم لأخيه ما يحب ويكره ما يكره لنفسه ، فإذا زال ذلك عنه فقد نقص إيمانه بذلك ، وكما في المثل السائد الجود بالنفس أقصى غاية الجود، فان الإسلام قد أجاز الإيثار إلا أنه لم يطلق له العنان بل قيده بقدرة الفرد على التحمل والصبر، ويقبل ممن عرف فيه القدرة على الجلد والصبر ولا يقبل ممن لا يستطيع ذلك.فإن النظرة الإسلامية الشاملة لمبدأ الإيثار والإنفاق تستسقى أساسا من خلال معايير ومقاييس وإحكام وتشريعات وردت في القرآن

الكريم والسنة التي أجازت الإيثار بالمال لمن فيه قوة وقدرة وصبر على تحمل المشقة ، وإما من لم يستطيع فلا ، لأن النفس لها الأولوية في المال ومن تجب عليه نفقتهم وإعالتهم كما في قوله تعالى ((وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)) ٦٢ ، كما تذكر كتب التفسير أن سبب النزول هذه الآية الكريمة أن الإمام علي عليه السلام بات وأهله وأولاده ثلاث ليال جوعى بلا طعام إلا الماء القراح إيثار المسكين ويتيم وأسيرا، هؤلاء أهل البيت قد طهرهم الله وأعطاهم القدرة على التحمل ، وجعلهم القدوة الحسنة والمثل الأعلى للنهوض بهذا الدين وقيادة البشرية ، فان المعزى الحقيقي أن الاتجاه الى التخلي عن وسائل رفاهية العيش لا يقره الإسلام إلا في حالات استثنائية تقتضيها ظروف وقتية طرأت على المجتمع أو ظروف تضحية وجهاد في سبيل الله ، فلا يلزم عامة الشعب بها، ففي هذه الحالات يجب أن يقنع المسلم في استهلاكه وإنفاقه بالحد الأدنى ٦٣.

والنوع الرابع /الإيثار بالطاعات والقرب ، ويكون على نوعين هما :

النوع الأول : إيثار الغير على النفس في الحظوظ الدنيوية وهذا محبوب مطلوب كمن أثر غيره على نفسه بطعامه أو شرابه كما ذكر أنفا ، والنوع الثاني : إيثار الغير على النفس في الحظوظ الآخروية وفيه خلاف :

١ - جواز الإيثار بالقرب بلا كراهة ، فقد قيل: "وإن سبق أحد إلى الصف الأول فدخل رجل أكبر منه سنا أو من أهل العلم ينبغي أن يتأخر ويقدمه تعظيما له " ٦٤

٢- الإيثار في القرب مكروه وفي غيرها محبوب ، قال احد العلماء " لا يقام أحد في مجلسه ليجلس في موضعه ، فإن قام باختياره لم يكره ، فإن انتقل إلى أبعد من الإمام كره ، قال أصحابنا : لأنه أثر بالقرية" ٦٥ لا إيثار في القربات فلا إيثار بماء الطهارة ولا بستر العورة ؛ لأن الغرض من العبادات التعظيم والإجلال لله تعالى ، فمن أثر به غيره فقد ترك إجلال الإله وتعظيمه ، وقول من قال من الفقهاء : لا يجوز الإيثار بالقرب لا يصح ، وقد آثرت عائشة عمر بن الخطاب بدفنها في بيتها جوار النبي صلى الله عليه وسلم وسألها عمر ذلك ، فلم تكره له السؤال ولا لها البذل ، وعلى هذا : فإذا سأل الرجل غيره أن يؤثره بمقامه في الصف الأول لم يكره له السؤال ولا لذلك البذل ، ومن تأمل سيرة الصحابة وجدهم غير كارهين لذلك ولا ممتنعين منه وهل هذا إلا كرم وسخاء وإيثار على النفس بما هو أعظم محبوباتها تفرحاً لأخيه المسلم وتعظيماً لقدره وإجابة له إلى ما سأله وترغيباً له في الخير ، وقد يكون ثواب كل واحد من هذه الخصال راجحاً على ثواب تلك القرية ، فيكون المؤثر بها ممن تاجر فبذل قرية وأخذ أضعافها ، وعلى هذا فلا يمتنع أن يؤثر صاحب الماء بمائه ليتوضأ به ويتيمم هو إذا كان لا بد من تيمم أحدهما ، فأثر أخاه وحاز فضيلة الإيثار وفضيلة الطهر بالتراب ولا يمنع هذا كتاب ولا سنة ولا مكارم الأخلاق ، وعلى هذا فإذا اشتد العطش بجماعة عابوا التلف ومع بعضهم ماء فأثر على نفسه واستسلم للموت كان ذلك جائزاً ولم يقل إنه قاتل لنفسه ولا أنه فعل محرماً ، بل هذا غاية الجود والسخاء كما قال تعالى : **وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ((٦٦ ، وقد جرى هذا بعينه لجماعة من الصحابة في فتوح الشام وعدّ ذلك من مناقبهم وفضائلهم ، وهذه المسألة تدخل فيما يسميه العلماء بـ " الإيثار بالقرب " ، والإيثار بالقرب معناه أن يقدم المسلم أخاه في أمر من الأمور الدينية التي تقرب إلى الله تعالى ، ومن القواعد الفقهية : (لا إيثار في القرب) ، وهي قول جماهير العلماء : أنه يكره الإيثار فيها، وخالف في ذلك بعض العلماء فقالوا بالجواز وعدم الكراهة ٦٧. وعده بعض العلماء ذلك في غاية الكرم والسخاء والإيثار **ومن أسباب عدم جواز الإيثار بالقرب :**

أن الإيثار بالقرب يدل على قلة الرغبة فيها والتأخر عن فعلها فلو ساغ الإيثار بها لأفضى الى التقاعد والتكاسل. أن الله تعالى يحب المبادرة والمصارعة الى خدمته والتنافس فيها فأن ذلك أبلغ في العبودية ، فأن الملوك تحب المصارعة والمنافسة في طاعتها وخدمتها ، فالإيثار بذلك مناف لمقصود العبودية فأن الله تعالى أمر عبده بهذه القرية اما إيجاباً وإما استحباباً فأن أثر بها ترك ما أمره وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : **((سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ))** ٦٨ ، ومعلوم أن الإيثار بها ينافي الاستباق إليهما والمصارعة وكان الصحابة يسابق بعضهم بعضاً بالقرب ولا يؤثر الرجل منهم أخاه ، وقد قال عمر الخطاب **((والله ما سبقني أبو بكر الى خير الا سبقني إليه حتى قال والله لا أسابقك الى خير أبدا))** ٦٩ ، ٣٠ وقال النووي في شرح مسلم: وقد نص أصحابنا وغيرهم من العلماء على أنه لا يؤثر في القرب، وإنما الإيثار المحمود ما كان في حظوظ النفس دون الطاعات، قالوا: فيكره أن يؤثر غيره بموضعه من الصف الأول وكذلك نظائره. ٧١ وذهب بعض أهل العلم إلى جواز الإيثار بالقرب، وقد عد ابن القيم في كتابه زاد المعاد ذلك غاية الكرم والسخاء والإيثار ٧٢، ويمكن الجمع بين القولين بأن الإيثار في الأصل مكروه لما فيه من

ترك فرصة للحصول على الثواب، ولكن تزول الكراهة في بعض الأحوال ، ومنها :أن يطلب الغير تقديمه ونيله فرصة فعل الطاعة بمباشرته سببها ، كما ورد في الوقائع التي استدلت بها المجيزون، حيث لم يتم فيها الإيثار من تلقاء نفس المؤثر ، وإنما بعد الطلب . ومنها: أن يكون في الإيثار مصلحة دينية ، كإيثار الأقرأ والأعلم بالصف الأول ليكون خلف الإمام، ففي ذلك مصلحة للصلاة عملاً بما روي عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : " ليلني منكم أولوا الأحلام والنهي ، ثم الذي يلونهم ، و لا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، و إياكم و هيشات الأسواق "٧٣، ففي مثل هذه الحالات لا يكره الإيثار ، بل يجوز، لأن المؤثر في هذه الحالة يكون قد حصل على الثواب ، إما بالنية والعزم بعد التمكن من المباشرة ووجود مانع، وإما بمراعاته مصلحة دينية غير الطاعة والقربة التي آثر بها غيره، وفي غير ذلك يكره الإيثار ، ولذلك شرع الاقتراع على الأذان وعلى الوقوف في الصف الأول ، فقد روى البخاري في صحيحه وغيره عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا عليه "٧٤ ، أي : اقترعوا. وعلى هذا فإن الإيثار ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ممنوع ، والثاني: مكروه ، والثالث: مباح

أما القسم الأول / الممنوع : فهو أن تؤثر غيرك بما يجب عليك شرعاً فإنه لا يجوز أن تقدم غيرك فيما يجب عليك شرعاً ، ومثاله إذا كان معك ماء يكفي لوضوء رجل واحد، وأنت لست على وضوء، وهناك صاحب لك ليس على وضوء فالماء لك، لكن إما أن يتوضأ به صاحبك وتتييم أنت، أو تتوضأ أنت وتتييم صاحبك، ففي هذه الحال لا يجوز أن تعطيه الماء وتتييم أنت؛ لأنك واجد للماء، والماء في ملكك، ولا يجوز العدول عن الماء إلى التييم إلا لعدم ، فالإيثار في الواجبات الشرعية حرام، ولا يحل؛ أنه يستلزم إسقاط الواجب عليك، **وأما القسم الثاني: وهو المكروه :** فالإيثار بالأموال المستحبة ، وقد كرهه بعض أهل العلم وأباحه بعضهم، لكن تركه أولى لا شك إلا لمصلحته، ومثاله أن تؤثر غيرك في الصف الأول الذي أنت فيه، مثل أن تكون أنت في الصف الأول في الصلاة، فيدخل إنسان فقوم عن مكانك وتؤثره به، فقد كره أهل العلم هذا، وقالوا : إن هذا دليلٌ على أن الإنسان يرغب عن الخير، والرغبة عن الخير مكروهة، إذ كيف تقدم غيرك إلى مكان فاضل أنت أحق به منه؟ وقال بعض العلماء تركه أولى إلا إذا كان فيه مصلحة، كما لو كان أبوك وتخشى أن يقع في قلبه شيء عليك فتؤثره بمكانك الفاضل، فهذا لا بأس به،

والقسم الثالث: وهو المباح: وهذا المباح قد يكون مستحباً، وذلك أن تؤثر غيرك في أمر غير تعبدية، أي تؤثر غيرك وتقدمه على نفسك في أمر غير تعبدية ، مثل: أن يكون معك طعام وأنت جائع، وصاحب لك جائع مثلك ففي هذه الحال إذا أثرته فإنك محمود على هذا الإيثار ٧٥، لقول الله تبارك وتعالى في وصف الأنصار ((وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)) ووجه إيثارهم على أنفسهم أن المهاجرين لما قدموا المدينة لتلقاهم الأنصار بالإكرام والاحترام والإيثار بالمال، حتى أن بعضهم يقول لأخيه المهاجري: إن شئت أن أتنازل عن إحدى زوجتي لك فعلت؛ يعني يطلقها فيزوجها المهاجري بعد بمضي عدتها ، وعده هذا من شدة إيثاره رضي الله عنهم لإخوانهم المهاجرين، قال تعالى: ((وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)) ٧٦ أي : يعني يطعمون الطعام وهم يحبونه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، ويتكون أنفسهم، كما بيناه سابقاً.أذن ترويض النفس بين الشح والإيثار ، فالجميع يعرف أن النفس الإنسانية أضر الأعداء وبلاها أصعب بلاء وعلاجها أخطر الأشياء ، ودواؤها أعضل الداء وأشكل الداء وذلك لأمرين مهمين هما: أحدهما/أنها عدو من داخل الجسد ، والثاني /أنها عدو محبوب ٧٧ فإذا تغلغل فيها حب الدنيا والتعلق بشهواتها أدى إلى أعجاب صاحبها بها ورضاه عنها، وهذا غرور قاتل وأفة مهلكة لقوله عليه الصلاة والسلام ((ثلاث مهلكات شح مطيع وهوى متبع وإعجاب كل ذي رأي برأيه)) ٧٨، ٧٩ فالشح طبع في النفوس الباقية على أنانيتها يحملها على المنع والقبض على ما لإنسان أيا كان ما يملكه بحيث لا يصيب غيره وإن كان ذا حاجة، وأضيف للنفس ؛ لأنه غريزة فيه لقوله تعالى ((وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)) ٨٠ فالشح صفة تلحق بالإنسان بسبب حبه للماديات، وهو أشد البخل، وقيل : البخل بالمال والشح بالمال والمعروف ، فهو عدو يتربص بالإنسان ويصيبه عند الغفلة فعلى الإنسان أن يروض نفسه حتى ينتهي إلى مكارم الأخلاق ، لأن الشح من شهوات وابتلاءات النفس الإمارة بالسوء في الدنيا التي تحب الشهوات وتؤثر ذاتها، وأن الطريق إلى تزكية النفس اعتبار الأفعال الصادرة من النفس الزكية حتى صار ذلك معتاداً بالتكرار مع تقارب الزمان حدث منها هيئة للنفس راسخة تقتضي تلك الأفعال بحيث يصير ذلك بها كالعادة كالطبع فيخفف عليه ما كان يستقله من الخير، فمن أراد إن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف فعل الجود وهو بذل المال ولا يزال يواظب عليه حتى يتيسر

عليه فيصير بنفسه جوادا ٨١، والإنفاق مهم لتطهير النفس البشرية من رذيلة البخل والشح والطمع ومواساة الفقراء والتحديد من تضخيم الأموال عند الأغنياء لقوله تعالى ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) ٨٢ ، وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم أي الصدقة أفضل: عن أبي هريرة قال قال ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم فقال ((أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل فلها ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم)) ٨٣ ، فهذه أشاره إلى أن الصدقة المأخوذة تكون مطهرة لهم من صفات الشح والأثرة ، والتصديق بما يحبه الإنسان جنس تحته أنواع كثيرة ، وإما الإيثار مع الخصاصة فهو أكمل من مجرد التصديق مع المحبة ، فان ليس كل متصدق محبا مؤثرا ولا كل متصدق يكون به خصاصة بل قد يتصدق بما يجب مع اكتفائه ببعضه مع محبته لا تبلغ به الخصاصة، وبهذا العمل ينال الجنة لقوله تعالى ((لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)) ٨٤، فان البر هو الجنة لا يناله إلا بالإنفاق ما تهواه الأنفس من كرائم الأموال ٨٥.

الخاتمة

١- الإيثار هو تقديم الغير على النفس في أمور الدنيا مرضات لله تعالى مع حاجتك إليها، وأن يخرج ذلك إلى حد العوز والهلاك.
٢- الإيثار منزله متقدمة من التضحية لا يقدم عليها إلا من تحلى بصفات توهله لذلك كالجلد والصبر على الجوع، والقدرة على التحمل المشقات والمصاعب ، التي يجمعها قوة القين والإيمان بالله تعالى.
٣- تظهر آثار العمل بهذا الخلق الرفيع على الفرد والجماعة، فأما آثاره على الفرد حيث نزع البخل والشح وحب الدنيا من صدورهم وتوجهوا إلى السخاء وتحمل المصاعب ، والتحلي بالخلق الحسن وحب التضحية في سبيل الله تعالى ، وأما بالنسبة للجماعة فظهرت الصورة واضحة من خلال التكافل والتضامن الاجتماعي والبعد عن الحسد مما أدى إلى توطيد المحبة وظهور الطمأنينة والأمن والأمان في المجتمع الإسلامي.
٤- التحلي بهذا الخلق دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام، والطريق الى محبة الله تعالى ، وحصول الألفة بين الناس ، وطريق لجلب البركة والوقاية من الشح.

٥- إن العقيدة الصحيحة إذا سيطرت وتمكنت من القلوب أثمرت أسمى الفضائل الإنسانية العليا من شجاعة وكرم وإيثار وتضحية ..الخ.
٦- خلق الإيثار قمة الفضيلة وبلوغها يحتاج إلى عملية تربوية متواصلة مع الاستعاذة بالله من البخل والحرص والشح.
٧- أجمع العلماء على فضيلة الإيثار بالطعام والمال والنفس ونحوه من أمور الدنيا وحظوظ النفس بخلاف القربات ،فإن الحق فيها لله تعالى

٨- خلق الإيثار الناس فيه مختلفون باختلاف أحوالهم في الاتصاف بأوصاف التوكل المحض واليقين التام ، وقد ورد أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل من أبي بكر جميع ماله ، ومن الخليفة الثاني النصف ورد أبا لبابه وكعب بن مالك الى الثلث لقصورهما عن درجتي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وحصل أن الإيثار هنا مبني على إسقاط الحظوظ العاجلة فتحمل المضرة اللاحقة بسبب ذلك لاعتب فيه اذا لم يخل بمقصد شرعي ، فأن أخل بمقصد شرعي فلا يعد إسقاط للحظ ولا هو محمود شرعا.
٩- ومن شروط الإيثار أن لا يؤدي إلى محرم او مكروه ان تؤثرهم بمالك وتبقى أنت وعيالك محتاج، وان لا يفسد عليك وقتك ،وأن لا يكون الإيثار بالقرب والطاعات.

١٠- إن الله تعالى خلق النفس بفجورها وتقواها فجعل الشح من صفات فجورها ، والكرم والجود والإيثار من صفات تقواها ، فعلى الإنسان أن يروض نفسه حتى ينتهي إلى مكارم الأخلاق ، لان الشح من شهوات النفس الأمارة في الدنيا التي تحب الشهوات وتؤثر ذاتها.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم -

- إحياء علوم الدين : محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، مطبعة محمد صبيح وأولاده ، مصر، د. ت. ط
أضواء البيان، محمد أمين الشثقيطي، د ت ط، ٨/٨/١٩٣-١٩٤.
الأخلاق الإسلامية وأسسها : لعبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، د. ت. ط .
تذكرة الأولياء نقلا عن تاريخ التصوف الإسلامي ، قاسم غني، دار للطباعة ، مصر ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م.
تركيب الانفس ، كاظم الحسيني الحائري، مطبعة قم ، د. ت. ط.
التعريفات : للجرجاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٣٨م.

تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، إحياء التراث العربي للنشر، بيروت، د.ت.ط.
التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب) : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسيني الرازي (٦٠٦هـ) ، دار الكتب العلمية للنشر ، طهران ، د.ت.ط .

تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، (ت١٣٧٦هـ) ، تح: عبد الرحمن بن معلا ، مؤسسة الرسالة للنشر ، ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق : لابن مسكويه ، الجامعة الأمريكية للطبع ، بيروت
تهذيب مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، هذب عبد المنعم صالح ، دار البشير للثقافة الأعلام، مصر، ط١ ٩٩٩م
جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.ط .
الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، (١٩٤-٢٥٦) ، تح مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة-بيروت ط١٤٠٧، ٣ - ١٩٨٧م .

الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٥م .
الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي : لابن قيم الجوزية ، مطبعة أمين عبد الرحمن للنشر ، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م .
حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، تأليف: ابن عابدين، دار الفكر للطباعة والنشر، -بيروت- ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

الحب عند العرب ، عادل كامل الالوسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت ط١ - ١٩٩٩ م .
الروح، لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية -بيروت، ١٩٧٥م .

زاد في هدى خير العباد : ابن قيم الجوزية ، تح: شعيب الأرنؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط١ ، ١٤٠٧هـ .
سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبوداود السجستاني الأزدي(٢٧٥هـ)، تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر -بيروت ٩٣/١ .
سنن الترمذي بشرح الجامع الصحيح : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩-٢٧٩) ، تح: أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت قم

شرح النووي على صحيح مسلم : أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٨٦هـ) ، إحياء التراث العربي ، بيروت ط١ ٢١٣٩٢هـ ، ١٢٧/٧ .
صحيح البخاري : محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت ٢٥٦هـ) ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
صحيح مسلم : أبو الحسن الحافظ مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، القاهرة ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .

طريق الهجرتين وباب السعادتين : ابن القيم الجوزية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ
عوارف المعارف ، عمر بن محمد السهروري (ت٦٣٢هـ) ، دار الكتاب العربي، بيروت ط١ - ١٩٦٦م .
فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة الصفا، مصر - ٢٠٠٣ .
فتح القدير فن الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) تح: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء للنشر، ط١، بغداد ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

فقه الدعوة في صحيح البخاري، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، ط١، د ت ط .
الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية، ناجي التكريتي ، دار الأندلس للنشر .
في ظلال القرآن: سيد قطب (ت ٩٦٧هـ) ، دار الشروق للنشر ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
قوت القلوب في معاملة المحبوب : أبو طالب المكي (ت ٣٨٦هـ) ، المطبعة اليمنية ، مصر ، د.ت.ط .
كحل البصر في سيرة سيد البشر ، عباس القمي ، تح جاسم الأديب .

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل : أبو القاسم محمود ابن عمر الزمخشري ، دار المعرفة للنشر ، بيروت ، د.ت.
لسان العرب، لابن منظور (ت ٧١١هـ)، مطبعة بولاق، القاهرة، د.ت.ط .
اللمع ، الطوسي ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .

- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي، الكويت، ٢٠٠٣م، ع٥٣، ج ١٤ .
- مجمع البيان في تفسير القرآن : لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، تح: هاشم الرسولي المحلاني ، دار التراث العربي ، د.ت. ط .
مختار الصحاح ، محمد أبو بكر عبد القادر الرازي (ت ٧٢١هـ) دار الرسالة للطباعة ، الكويت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، تح: محمد حامد الفقهي، د ت ط .
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري ، دار الفكر للنشر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
المفردات في غريب الألفاظ القرآني : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت ٥٠٢هـ) ، تح: محمد سيد كيلاني، مصطفى البابي الحلبي ، ط الأخير، ١٣٨١هـ .
- منازل السائرين عبد الله الانصاري السهروي، دار الكتب العلمية ،بيروت، ١٩٨٨م، ٥٧/١ .
منهاج السنة النبوية ،لأبن تيمية ،إدارة الثقافة والنشر ، ط١ ، ١٩٨٦م، ١٨٤/٧ .
منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين : الغزالي ، تح : محمود مصطفى الحلاوي، مؤسسة الرسالة للنشر ، ط١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
منهاج المسلم ،أبو بكر جابر الجزائري ،دار الفكر - بيروت ٢٤٧، ١٩٧٦-٢٤٨ ،
الموافقات في اصول الفقه ،ابراهيم بن موسى الغرناطي المالكي، دار الفكر - د ت
ميزان العمل : محمد الغزالي ، تح: سليمان دنيا ، دار المعارف للنشر ، ط١ ، ١٩٦٤م .
نحو القرآن ، محمد البهي ، مطبعة التقدم ،القاهرة ط١-١٩٧٦م .
النظم الإسلامية الاقتصادية، لمحمد عبد الله العربي، معهدا لدراسات الاسلامية، القاهرة، د ت ط.